الرياض

الأربعاء ١٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ - ٢٧ إبريل ٢٠٠٥م - العدد ١٣٤٥٦

لقاء القمة.. آراء وتحديات

بقلم: د. فوزي الأسمر

بلا شك أن لقاء القمة الذي عقد بين ولي العهد السعودي الأمير عبدالله، وبين الرئيس الأمريكي، جورج بوش في مزرعة الرئيس الأمريكي بولاية تكساس، شكل منعطفاً تاريخياً، حدد الكثير من ملامح المستقبل، فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط والصراع العربي - الاسرائيلي، ومستقبل السلام في تلك المنطقة، خصوصا وأنه يأتي في وقت تمر به المنطقة بأخطر المراحل التي واجهتها.

ويمكن القول إن هذا اللقاء هو استمرار لذلك اللقا الذي جرى في منتصف الاربعينات بين المغفور له الملك عبدالعزيز والرئيس الأمريكي في حينه، فرانكلين روزفيلت، على ظهر البارجة الامريكية «يو.إس.إس. كوينسي» في البحيرات المرة المصرية، هذا اللقاء الذي احتفلت لجنة الصداقة مع المملكة العربية السعودية وذلك بمرور ٦٠ سنة عليه في شباط - فبراير الماضي في مدينة ميامي بولاية فلوريدا.

وفي ذلك اللقاء قال الملك عبدالعزيز بما معناه، ان السرطان الصهيوني لن يجلب السلام ولا الاستقرار للمنطقة وأن ضياع أي جزء من أرض فلسطين سيؤدي إلى حروب متواصلة، وسفك دماء متواصل، والواقع أن هذه الرؤية قد صدقت فعلاً.

وها هو ولي العهد السعودي، الأمير عبدالله، يأتي إلى لقاء الرئيس جورج بوش في مزرعته بولاية تكساس، ليقول له، إن ما قاله والدي رحمه الله قبل نصف قرن ونيف يظهر جليا في هذه الأيام، الصهيونية سرقت ٨٧ بالمائة من أرض فلسطين، وشردت أهلها، وها هو الدم ينساب فيها كالنهر، والاستقرار والسلام لم يحلا في أرض السلام، وسيكرر على مسامعه أن هذا الأمر سيستمر إلى أن يتحقق السلام العادل، ويحصل الفلسطينيون على حقوقهم المشروعة، في مقدمتها اقامة دولتهم المستقلة وذات السيادة وعاصمتها القدس، وحل قضية اللاجئين.

فولي العهد هو أفضل متحدث في هذه المرحلة باسم العرب، حيث يأتي إلى الولايات المتحدة وهو يحمل في جعبته مبادرة عربية، كانت من بنات أفكاره هو، وهي المبادرة التي قبلتها ليس فقط الدول العربية في مؤتمر القمة الذي عقد في بيروت، بل أيضا الدول الأوروبية والإسلامية والدول الأمريكية والأفريقية، بمعنى أن العالم بدأ ينظر إلى هذه المبادرة على أنها السبيل الأمثل للوصول إلى حل في منطقة الشرق الأوسط.

ولكن الطرف المهم في هذه المعادلة، وهو «إسرائيل» رفضها، ويأتي هذا الرفض بسبب الحصار الفكري والأيديولوجي الصهيوني الذي لا يريد أن يصل إلى سلام عادل، ولا أن يحصل الفلسطينيون على حقوقهم، وحل مشاكلهم، كما أن الفكر الصهيوني لا يستطيع التجاوب مع السلام العادل،لأنه يتناقض مع أسسه.

السلام بالنسبة لذلك الفكر الصهيوني معناه انتهاء الدور الذي قامت عليه هذه الحركة وبالتالي الدولة اليهودية، وانتهاء استغلال طاقات العالم المادية والبشرية والعسكرية التي تحتاجها للاستمرار في وجودها.

وهنا يأتي الدور التاريخي لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله فالرئيس بوش، والذي عبر عند تأييده في أكثر من مناسبة للمبادرة السعودية، والتي أصبحت في ما بعد المبادرة العربية، يحتاج إلى مزيد من الايضاحات، خصوصا في ما يتعلق بالصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وبالحد الأدنى للمطالب العربية وهي: إقامة دولة فلسطينية على ٢٢ بالمائة من أرض فلسطين التاريخية، أي الضفة الغربية، بما فيها القسم الشرقي من مدينة القدس، وقطاع غزة، والانسحاب الإسرائيلي الكامل من هذه المناطق حاملا معه كل المستعمرات التي أقامها على الأراضي التي احتلها أثناء حرب ١٩٦٧م، حيث أنها جميعا مستعمرات غير شرعية، حسب القوانين الدولية والقرارات الدولية.

هذه الأمور وضعت على طاولة الرئيس الأمريكي، كون أنها المطالب الوحيدة التي يمكن من خلالها إنهاء الصراع القائم في منطقة الشرق الأوسط، والوصول إلى سلام واستقرار دائمين، خصوصا بعد الفشل المستمر في الجهود الدولية وخصوصا الامريكية منها، في إيجاد حل مناسب ومقبول، كما أن إنهاء الصراع الفلسطيني - العربي مع إسرائيل، سيضع حدا لما تسميه امريكا بالإرهاب.

ومن هنا تأتي قوة المبادرة العربية والتي يجب تحويلها إلى آلة ضاغطة يتبناها العالم للوصول إلى الحل الدائم والعادل رغم معارضة «إسرائيل» فالعالم وصل إلى آخر نقطة من تحمله لهذا الصراع، وللغطرسة والرفض الإسرائيلي، وهو يشاهد اليوم كيف أن الفكر الصهيوني الذي يدير دولة «إسرائيل» يدفع إلى خوض غمار حرب، قد تكون بمثابة الحرب المدمرة بالنسبة له، ولم يعد أمام العالم اليوم، سوى أن يصل إلى حل عادل لهذا الصراع بكل مركباته.

ولا بد أن في جعبة سمو ولي العهد المقومات العملية لكيفية استمرار المبادرة العربية، والتي تعطي البعد السياسي، والغطاء العملي والأفق الدبلوماسي لمسيرة السلام في المنطقة، هذا البعد وذلك الغطاء وذلك الأفق، هي ما تفتقدهم كل المخططات والتوصيات والاتفاقيات التي وضعت أو تم توقيعها بهذا الخصوص، لذا فإن القبول الشفهي من جانب الرئيس بوش لهذه المبادرة، لن يكون كافيا لتحريكها وتنفيذها عمليا، بل يحتاج بوش إلى دعم، عن طريق شرح أبعاد المبادرة، والنتائج التي قد تحصل اذا ما فشلت، هذا الدعم الذي يجب أن لا يأتي من مستشاريه والذين يرون في ارئيل شارون «رجل سلام» بل من الشخص الذي عصر فكره في وضع بنودها، ورؤية مستقبلها، أي ولي العهد نفسه.

وقد استمع الرئيس بوش من ولي العهد التقييم العربي لما يحدث في العراق، وأبعاد هذا الوضع على العلاقات العربية - الأمريكية وعلى امكانيات السلام في المنطقة، اضافة إلى المفهوم العربي لـ «الإرهاب» والذي يميز بين الإرهاب وبين عملية مقاومة الاحتلال، خصوصا في فلسطين والعراق.

وهذا الملف أي الإرهاب، هو طرح آخر لولي العهد، الذي شرح للرئيس بوش وجهة النظر العربية بالنسبة للإرهاب، وهو الموضوع المهم جدا بالنسبة له، العرب قاسوا الأمرين من الإرهاب الصهيوني والاسرائيلي وغيره فقد كانت الصهيونية هي التي أدخلت الارهاب إلى فلسطين، وتاريخها قبل وبعد عام ١٩٤٨ شاهد على ذلك، ألم تكن الصهيونية هي التي قامت باغتيال مبعوث الأمم المتحدة الكونت برنادوت؟ وألم تقم هي بنسف أكبر فندق في مدينة القدس المحتلة. فندق الملك جورج، والذي ذهب ضحيته مئات القتلى والجرحى؟ أليست هي التي نفذت مجزرتي دير ياسين، وكفر قاسم وغيرهما؟

كما أن هذه الزيارة ستكون تحدياً للضغوط الصهيونية، والتي تتمثل بأعضاء الكونغرس الأمريكي المؤيدين لإسرائيل، وأعضاء الإدارة الأمريكية المؤيدين لهذا اليمين الاسرائيلي المتطرف، ووسائل الإعلام المشبعة بالكراهية للعرب والمسلمين، ومن المهم بمكان أن تواجه هذه الضغوط بضغوط عربية، مدعومة بمبادرة إنسانية تعيد الأمور إلى نصابها.

وفوق كل هذا، فإن ولي العهد لا يحمل فقط الثقل العربي فحسب، بل يحمل في جعبته ثقل المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي، ومدى تأثيرها على هذه الدول، وبلا شك ان الرئيس بوش واع لذلك.